Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبينما وجد بعض الكتّاب فى الشعر وسيلة للتعبير عن أفكارهم، اختار جونتر جراس أسلوب السرد النثرى الذى يُشبع ميله نحو وصف الأحداث بطريق «التداعى» ومزجها بالوثائق التاريخية الواقعية. كما أن الشكل الذى تظهر فيه روايات جونتر جراس، والأسلوب الذى تكتب به، يتميزان بنوع من الثنائية الفريدة التى تمزج بين مشاعر الكاتب والحقيقة المجردة، فى لغة تتميز بالقوة القاسية القاتمة مع سخرية تنضح بالمرارة. وقد اعتاد جونتر جراس أن يصمم أغلفة كتبه ويزودها بنفسه بالرسوم المعبرة. وقد لاقت كتبه كلها رواجا كبيرا، وترجمت إلى أغلب اللغات الحية فى العالم.

« الطبلة الصفيح »

بطل هذه الرواية قزم يدعى «أوسكار ماتسيرات»، ولد بمدينة دانتسيج، ويبلغ من العمر ثلاثين عاما. يحكى هذا القزم قصة حياته منذ بدايتها حتى النقطة التى نقابله فيها راقدا فى الفراش فى مصحة للأمراض العقلية، بعد أن ثبت ارتكابه جريمة قتل إحدى الممرضات. ومع أن أوسكار يملك الدليل على أنه ارتكب هذه الجريمة مرغما، إلا أنه لا يريد فتح ملف القضية من جديد، لأنه يشعر الآن فى المصحة ـ وهو بعيد عن مضايقات العالم الخارجى ـ بمنتهى الراحة. وقد تعمد أوسكار أن يظل قزما من الناحية الجسمانية، بأن أوقع نفسه من السلم وأصاب نفسه وهو فى الثالثة من عمره إصابة أوقفت نموه بعد ذلك.

كان أوسكار مولعا بالدق على الطبول الصفيح التى كان يزوده بها القائمون على تربيته لكيلا يزعجهم بصراخه المدوى. وبالرغم من أن عناصر كثيرة فى الرواية من نسج خيال المؤلف، إلا أن التواريخ مضبوطة تماما، وتتابع الأحداث فى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٥٥ يفوق فى تفاصيله ودقته الكثير من كتب التاريخ.

إن الكثير من الأحداث الاجتماعية والسياسية الكبيرة والصغيرة تصاحب حياة أوسكار وتؤثر فيها، مثل تجمعات الحزب النازى، معاداة السامية، تجنيد الجيش النازى، حملة الدعاية الألمانية، الهجوم على دانتسيج واشتعال الحرب العالمية الثانية، عزل المرضى والعجزة والمشوهين عن بقية الشعب الألمانى ـ كما حدث لأوسكار عندما حاولوا عزله فى إحدى المؤسسات ـ الغارات الجوية، الجيوش الروسية، الناس الذين عاشوا بعد حجزهم فى معسكرات الاعتقال، عودة الأبطال، السوق السوداء، اللاجئون، إجراءات دعم العملة الألمانية ومانتج عنها من الاستقرار الاقتصادى، ثم نهضة ألمانيا من عثرتها بعد انتهاء الحرب.